أثر الوثنيّات القديمة في أصول النصرانية المعاصرة
(دراسة تحليلية نقدية)

الباحث: محمود عبد الرحمن دادو*

(*) معيد بكلية الشريعة ـ جامعة حلب – الجمهورية العربية السورية

ملخص البحث :

عاصرت الديانة المسيحية الكثير من الديانات الوثنية المنتشرة في أصقاع الأرض التي تجمع في تعاليمها بين الأسطورة والخيال، ولقد كان الكثير من أتباع المسيحية في جميع أطوارها من المتحولين من هذه الوثنيات إلى المسيحية، وحاول هؤلاء الأتباع طرح أفكارهم ومعتقداتهم في المسيحية بما تجود به قرائحهم من أفكار عن الآلهة وتعددها وطبيعتها وصفاتها ووظيفتها في الكون، ولم تستطع المسيحية أن تبقى بمنأى عن هذه الأفكار الوثنية، بل نجح الوثنيون في إدخال الكثير من هذه الآراء إليها، وألبسوها ثوب المسيحية، ومن هنا فإن أيَّ دارس في الأديان بإمكانه أن يجد الصلة الوثيقة جداً بين المسيحية وبين الوثنيات القديمة في معظم النواحي العقائدية ؛ وذلك نتيجة كثرة الدخيل في العقيدة النصرانية، سواء في الأصول كالتثليث والصلب والفداء، أو في الفروع كالتعميد والعشاء الرباني.

حاول الباحث الكشف عن هذا التأثير المستقى من النصرانية وأسبابه التاريخية.

المقدمة:

الحمد لله المتفرد بوحدانية ألوهيته، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السماوات العلا، لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ (سورة الأنبياء:٢٣)، وأشهد أن محمداً عبده المجتبى ورسوله المرتضى، صلى الله عليه وسلم ما دار في السماء فلك، وما سبح في الملكوت ملك، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن الكتب المقدسة في الأديان السماوية عموماً كالقرآن والتوراة والإنجيل تمثل معيناً لا ينضب من الأفكار والتصاوير والمعاني والدلالات، ولا يوجد مثقف ولا كاتب ولا شاعر لم يستمتع بالإبحار فيها، فنجد الباحث المسلم يستشهد في كتاباته بآياتٍ من القرآن الكريم، وكذلك غيره من أتباع الأديان كالنصارى نراهم يستشهدون بإعلانات من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد في تآليفهم، ومن المعلوم أن العقيدة النصرانية المعاصرة تجمع الكثير من مواريث الأمم السابقة لا سيما الوثنية؛ فأي باحث في الأديان يمكنه أن يقف على الكثير من العقائد النصرانية ويجد مطابقة أغلبية – إن لم تكن تامة – بينها وبين الوثنيات القديمة سواءٌ فيما يتعلق بأصل العقيدة : كالتثليث ، والصلب ، والفداء، والقيامة، والتجسد، أو فيما يتعلق بشخص السيد المسيح عليه السلام: كولادته، ومعجزاته، وأوصافه، أو فيما يتعلق بالطقوس النصرانية: كالتعميد، والعشاء الرباني، وذلك نتيجة كثرة الدخيل في العقيدة النصرانية؛ لذا فإني سأحاول ما أمكن أن أسلط الأضواء على ذاك التأثير الحاصل في النصرانية الذي استقته من الوثنيات القديمة.

أولاً: أهمية الموضوع:

من الضروري في ظل حالة التعايش التي نعيشها مع أهل الكتاب: أن يُقدم طلبة العلم على دراسة مواضيع مما يتصل بالعقيدة النصرانية، بغية كشف الشُبه وإيضاحها للآخرين؛ حتى لأصحابها الذين يعجزون في كثير من الأحيان عن فهمها،

ولم يكن الدافع لاختيار هذا البحث كراهيةً لمخالفينا في العقيدة والدين، لكن لم تعد خافية تلك الهجمة الشرسة التي يجابهنا بها مخالفونا في الدين، ونحن المسلمين عُلّمنا أن ندفع السيئة بالتي هي أحسن، فمن هنا أردت أن أقوم بمقارنة تبين للقارئ الأثر الوثني الواضح في العقيدة النصرانية بما لا يدع مجالاً للشك بأن الأصل للنصرانية المعاصرة إنما هو الوثنية بتعاليمها القديمة وطقوسها.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- مقابلة النصارى على مطاعنهم في الإسلام ببيانٍ لأصل التعاليم والطقوس النصرانية المعاصرة.

٢- الانتشار الواسع للديانة النصرانية في أرجاء المعمورة، وامتدادها على بقعة جغرافية كبيرة تُمثل بذلك ديانةً من أكبر الديانات امتداداً في العالم.

٣- نصرة الحق (دين الله تعالى) ببيان أن العقيدة النقية الصافية التي حفظها الله تعالى من أن تمتد إليها أيدي العابثين إنما هي العقيدة الإسلامية.

٤- ومما يدعو إلى دراسة هذه القضية انتشار دعوات التبشير ومدارسه على نطاق أوسع مما كان عليه في أي عصرٍ مضى، وما نراه من دعم يتجه لهذه الحركات بالمال وتأمين الدعاة وتجنيد العقول لخدمة الكنيسة وتحقيق أهدافها.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

من البديهي أن هذا الموضوع ليس جديداً كل الجدة، فقد أشار إليه بعض من أئمة المسلمين الذين كتبوا في الرد على النصرانية بدءاً من القاضي عبد الجبار الهمذاني (ت٤١٥) في كتابه (تثبيت دلائل النبوة) الذي قال فيه عبارته الشهيرة مشيراً إلى الأثر الوثني في النصرانية: «فلا نجد إلا النصارى تروموت ولم تتنصر الروم»[1]، وكذلك

(١) عبد الجبار الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، (القاهرة)، د/ط.ت، ١/١٧٣.

أشار إليه أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١) في كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام)[١]، ولقد أُلِّفت بعض الدراسات المعاصرة التي ركزت على هذه القضية، منها:

١- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تأليف: محمد الطاهر التنير البيروتي (ت١٩٣٣).

٢- تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، تأليف: د. أحمد علي عجيبة.

أما الكتاب الأول فيشكّل أساساً لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة هذا الموضوع، ولقد قام د. محمد عبد الله الشرقاوي بتحقيق هذا الكتاب والتقديم له بمقدمة تحوي فوائد جمّة، وابتدأها بمدخل عام بحث فيه حركة نقد الكتاب المقدس التي جرت في القرنين الماضيين مشيراً إلى أهم نتائج هذه الحركة ، وهي: ضعف الثقة في مصداقية الكتاب المقدس، ثمّ عرّف بالمؤلف وبالكتاب عامّة.

ولقد جمع التنير بياناته من مراجع وثائقية مهمة لباحثين متخصصين، ومما يؤخذ عليه ما أشار إليه الدكتور الشرقاوي أن صاحبه اكتفى فقط بسرد قائمة الكتب التي اعتمدها دون الإشارة إلى المراجع في الهوامش، ولقد قام المحقق الدكتور الشرقاوي – جزاه الله خيراً – بتلافي هذا الأمر.

والكتاب الثاني هو أطروحة تقدّم بها الدكتور أحمد علي عجيبة لنيل درجة الدكتوراه، ولقد جاء هذا الكتاب كموسوعة علمية موثقّة، وتعرّض فيه المؤلف إلى فصلين يدور عليهما الكلام في موضوع هذا البحث هما:

أولاً: العوامل التي أدت إلى تأثر المسيحية بغيرها.

ثانياً: وجود هذا التأثّر في محاور مختلفة، فجاء الكتاب شاملاً وموسّعاً.

---

(١) انظر: محمد بن أحمد القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ت: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، (القاهرة)، د/ط.ت، ص١٦٦.

ولقد أردت بهذا البحث أن أُفرد التأثر الحاصل في النصرانية على مستوى الأصول فقط، دون التعرض لجميع محاور المسيحية؛ وذلك حرصاً على الاختصار، ثم أتبعته بعض المحاور المهمة لإيضاح التأثير الوثني في مسألة ولادة السيد المسيح وصفاته.

رابعاً: مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في التطابق الموجود بين الوثنيات القديمة من ناحية والنصرانية المعاصرة من ناحية أخرى في الكثير من نواحي العقيدة بمختلف حيثياتها، مما يستدعي تبيين الحق في هذا التطابق وتوضيح أسبابه.

خامساً: المنهج المعتمد وخطة البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي المقارن، وكذلك اتبعت المنهج التحليلي النقدي كلما دعت إليه الحاجة، مع الحرص على الاختصار دون الإخلال بالموضوع وعلى تهذيب المعلومات المتناثرة في ثنايا الكتب وتصنيفها.

سادساً: خطة البحث:

تنقسم الدراسة إلى تمهيد وخمسة مباحث ، وضمن كل مبحث عدة مطالب.

التمهيد: وتشمل: أولاً: مدخل المصطلحات

ثانياً: تسرُّب التأثير الوثني إلى النصرانية.

المبحث الأول: الأثر الوثني في قضية التثليث في النصرانية والوثنيات القديمة.

المبحث الثاني: الأثر الوثني في مسألة الصلب والفداء في النصرانية والوثنيات القديمة.

المبحث الثالث: الأثر الوثني في مسألة القيامة في النصرانية والوثنيات القديمة.

المبحث الرابع: الأثر الوثني فيما يتعلق بولادة السيد المسيح عليه السلام.

المبحث الخامس: الأثر الوثني فيما يتعلق بنهاية حياة السيد المسيح على الأرض.

التمهيد: أولاً: مدخل المصطلحات والتعريفات:

الْأَثَرُ: بفتحتين ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف، وسنن النبي عليه الصلاة والسلام (آثاره) و(استأثر) بالشيء استبد به، و(أثارة) من علم بقية منه، و(التأثير) إبقاء الأثر في الشيء.(١)

الوَثَنُ: هو في اللغة المقيم الراكد الثابت الدائم، والوثن: الصنم ما كان، وقيل: الصنم الصغير، والجمع أَوْثانٌ ووُثُنٌ ووُثْنٌ وأُثُنٌ على إبدال الهمزة من الواو، قال ابن الأثير: الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد، والصنم الصورة بلا جثة؛ ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين.(٢)

والقِدَمُ: العِتْقُ مصدر القديم، والقدم: نقيض الحدوث.(٣)

أصول: جمع أصل، وهو أسفل الشيء، وأصل كل شيءٍ ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول.(٤)

النصرانية: قال ابن دريد: النصارى منسوبون إلى نَصْرَانة، وهي موضع، النصارى جمع نصران، كالندامى جمع ندمان، ولكنهم حذفوا إحدى الياءين، أو النصارى جمع نصري، كمهري وإبل مهارى، والنصرانية والنصرانة واحدة النصارى، والنصرانية: الدين والمعتقد الذي يدين به النصارى، وتنصر الرجل: دخل في النصرانية.(٥)

---

(١) انظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، (بيروت)، ط٥، ١٩٩٩م - ١٤٢٠ه، ص١٣.
(٢) انظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، (بيروت)، ط٣، ١٤١٤ه، ١٣/ ٤٤٢.
(٣) المرجع السابق، ١٢/ ٤٦٥.
(٤) انظر: محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د/ ط.ت، ٢٧/ ٤٤٧.
(٥) انظر: السابق، ١٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

المعاني الاصطلاحية:

الوثنيات القديمة: الوثنيات هو اسم يتناول كل معبود من دون اللهَّ، سواء أكان ذلك المعبود قبراً، أو مشهداً، أو صورة، أو غير ذلك[1]، ووصفناها بالقديمة لأن معظمها بائد.

أصول النصرانية: وهي المبادئ العقائدية التي تشكّل أساس النصرانية المعاصرة من ناحية والتي لا تختلف الفرق النصرانية المعاصرة في الإيمان بها من ناحية ثانية، وهي: التثليث، والصلب والفداء، والقيامة.

ثانياً: تسرب الأفكار الوثنية إلى المسيحية وأسبابه:

كانت الفلسفة الإغريقية بمذاهبها سلاحاً ذا حدين؛ فبقدر ما أعانت على إنشاء وتطوير المذاهب العقدية على يد اليونانيين بقدر ما انقلبت على العقيدة ورجالها، وباتت تهدد الكنيسة ونظامها، وتحرّف تعاليمها، وتقضي شيئاً فشيئاً على حقائق النصرانية الأولى، ولقد وجد فلاسفة اليونان في العقائد النصرانية معبراً اجتازوا به أزمة العقيدة المسيحية، وتغلبوا بالفلسفة عليها، واستطاعوا أن يُزيلوا معالم المسيحية الحقة ويدخلوا التحريفات إليها.

ومن ينظر في تاريخ البشرية وحياة الشعوب القديمة يجد أنها تشترك فيما بينها في الكثير من العادات والتقاليد، ولعل السبب في هذا التشابه هو الاختلاط بين تلك الأمم واستعمار القوي منها للضعيف، وهذا ما جعل الشعوب الضعيفة تأخذ دائماً بعادات وتقاليد الشعوب القوية والمهيمنة، وتتشابه في أكثر أصولها وأفكارها.

أما بالنسبة للنصرانية فإن عوامل عدة قد تضافرت في إخراجها عن المسار الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام وإدخال الأفكار الوثنية إليها، تتّضح هذه العوامل بداية بالاضطهاد الذي تعرّض له السيد المسيح وأتباعه، ولقد أشار العلامة (محمد أبو زهرة) إلى هذا المعنى بقوله: «اتفقت المصادر –شرقية ، وغربية، دينية، وغير دينية–

(١) انظر: سعيد القحطاني، كيفية دعوة الوثنيين إلى اللهَّ تعالى في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان دار سفير، (الرياض)، د/ط.ت، ص٤.

على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث، جعلتهم يستخفون بديانتهم، ويفرون بها أحياناً ، ويصمدون للمضطهدين ، مستشهدين أحياناً أخرى».[١]

وكان لهذا الاضطهاد أثر ملحوظ على مستويات عدة، منها: أنه قُتل عدد كبير من أئمة النصارى نتيجة لذلك، وضاع الإنجيل الصحيح الذي جاء به السيد المسيح، وتشتت أتباع السيد المسيح خارج بلاد اليهود، واتجهت الدعوة النصرانية إلى السرية بدلاً من العلانية السابقة.[٢]

ولا يخفى أيضاً ذاك الدور الذي لعبه (بولس) الرسول في إدخال الأفكار الوثنية إلى المسيحية الأولى، فكان له الفضل الأكبر في صياغة الفكر النصراني المعاصر، ومن المعلوم: أن بولس كان من طرسوس، وطرسوس هذه كانت تُعدّ بؤرة الديانة الميثراسية والمركز الرئيسي والأهم من مراكزها، فكان له الدور الأعظم في إدخال العقائد الوثنية وتطبيعها بطابع النصرانية، يقول د. أحمد عجيبة: «التعاليم التي بشّر بها بولس ليست من تعاليم المسيح، وإنما اقتبسها وطورها، وبشّر بها باسم السيد المسيح عليه السلام .... فهو يُعدُّ أول المحرفين لهذه الديانة، فقد أدخل فيها ما ليس منها .... فهو بلا شك أخرج النصرانية عن نطاقها السماوي، ووضع بدلاً منها وثنيات الأديان الوثنية».[٣]

ولما كانت تعاليم الفلسفة القديمة منتشرة في أنحاء الامبراطورية الرومانية لم يتمكن المسيحيون من التغاضي عن تأثيرها، وقد وُجِدَ من علماء الجيل النصراني الأول وفلاسفتهم مَن كان له أثر مهم في مساعدة الفكر الوثني على التفشي في النصرانية، ونأخذ مثالاً على ذلك (أمنيوس سقاس)[٤]، الذي أخذ يؤلف بين الفلسفة

---

(١) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (الرياض)، ط٤، ١٤٠٤هـ، ص٣٦.

(٢) انظر: أحمد عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، دار الآفاق العربية، (القاهرة)، ط١، ٢٠٠٦م، ص٨٦، ٩٠، ٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٤) أمنيوس سقاس أو ساكاس (؟ – ٢٤٢م)، فيلسوف يوناني من الاسكندرية، ومؤسس المدرسة

والدين المسيحي، فصار يُعلم فلسفة يتحدى بها المسيحيين وكل الأديان السائدة في وقته، فنادى بـ:

أ- أن الكون واللاهوت كلاهما جزآن من كلٍ واحدٍ عظيم، وأن الكل هو الله، كما نادى بأزلية العالم.

ب- سمح للناس أن يعيشوا حسب ما تقتضيه شرائع بلادهم، وما تقتضيه الطبيعة.

فصار الدين الواحد دينين ، أحدهما للعوام، وآخر للعلماء والفلاسفة.[1]

ولقد ساعد بولس وأمنيوس في مهمتهما تلك دخولُ الكثير من الوثنيين من الأديان المختلفة إلى المسيحية، ومعلومٌ أن الوثني لا يرتاح لدين ما إلا إذا شابه ما يحويه ذهنه من أفكار وثنية، فصار هؤلاء الوثنيون يبثون في النصرانية كل ما تحويه قرائحهم من أفكار، ولما كان أكثر المعتنقين للمسيحية هم من فئة العوام فإنهم لم يقتنعوا ببساطتها الأولى[2]؛ لا سيما أنّ اليهود وكهنة الوثنيين كانوا يتهمونهم بالكفر لعدم وجود هياكل ولا مذابح ولا كهنة في المسيحية مما اضطر علماء المسيحيين أن يُدخلوا إليها أفكاراً جديدة وطقوساً خارجية، فمن هنا دخلت الأسرار الوثنية في الطقوس المسيحية، لا سيما المعمودية والعشاء الرباني.

ومما هو جدير بالملاحظة دور المجامع الكنسية عموماً في تغيير معالم النصرانية الحقة وإدخال التحريف إليها، فقد ساعدت على «تأصيل الوثنية في

الأفلاطونية الجديدة، من أهم تلاميذه : هيرينيوس، أوريجينوس الأفلطويني، لونجينوس، ولا سيما أفلوطين الذي يقال: إنه تتلمذ على يده ما يقارب العشر سنوات، كان أمنيوس أول من تمسّك بحماس بالفلسفة الحقيقية، وترفع عن الآراء العامّية التي جعلت من الفلسفة موضوع احتقار، فتفهم عقيدة أفلاطون وأرسطو، ونقلها لتلاميذه، ويُقال: أنه ارتد عن المسيحية إلى الوثنية آخر حياته، انظر: أفندي (عبد الله)، تاريخ الفلاسفة، مطبعة الجوائب، د/ط، ١٣٠٢ه، ص٧٦.

(١) انظر: الطهطاوي (محمد عزت)، النصرانية والإسلام، مكتبة النور، ط٢، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦م، ص٩١.

(٢) انظر: عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٣٤٢.

المسيحية وجعلها هي أساس الديانة ومضمونها، ويتبين ذلك من القرارات والقوانين التي توصلت إليها، فالعقائد التي توصلت إليها إنما هي مستقاة من الفكر الوثني».[١]

ومن المعلوم أن: الأمم الوثنية عبدت آلهة متعددة اخترعتها عقولهم، حتى أنهم لم يتركوا قوة من قوى الطبيعة إلا اتخذوا منها إلهاً وعبدوه، كإله الرعد، وإله الماء، وإله الهواء ،وإله النار....[٢]، وعبدوا الحيوانات بشتّى أنواعها وأصنافها من الأفاعي والفئران والخنازير والعجل والبقرة والثيران[٣]، حتى أن اليهود كانوا لا يستطيعون أن يتخلّوا عن عبادة العجل والجمل والكبش، ولم يستطع نبي الله موسى عليه السلام أن يمنعهم من عبادة العجل الذهبي، فلا تزال عبادة ذاك الحيوان ماثلة في أذهانهم منذ أن كانوا بمصر.[٤]

ولقد كان التراث اليهودي هو الأكثر تأثيراً في النصرانية المعاصرة بما يحويه من عقائد وثنية ممزوجة بأفكار فلسفية، فانتقلت هذه الأفكار إلى النصرانية على يد بولس صاحب الدور الأكبر في تحريف الديانة المسيحية وإدخال عناصر الوثنية إليها.

بعد العرض السابق يمكننا أن نُجمل أسباب التأثير الوثني في النصرانية بالأسباب التالية:

١- الاضطهاد الذي تعرّض له أتباع السيد المسيح.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٢) انظر: التنير (محمد بن طاهر)، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ت: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة (القاهرة)، د/ط، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م، ص٤٩.

(٣) انظر: الأعظمي (محمد ضياء الرحمن)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد (الرياض)، ط٢، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م، ص٦٠٠، والعاملي (محمد علي برو)، الكتاب المقدس في الميزان، الدار الإسلامية (بيروت)، د/ط، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م، ص٣٣٢.

(٤) انظر: ديورانت (ول)، قصة الحضارة، تعريب: محمد بدران، لجنة التأليف والنشر (القاهرة)، ط٢، ١٤١٢ه، ١٩٩٢، ٣/ ١٩١.

٢- ضياع الإنجيل الصحيح.

٣- بولس ونشاطه.

٤- المجامع المسيحية وأثرها في تقرير العقيدة.

٥- اعتناق الوثنيين للمسيحية.

٦- دور اليهود في تحريف العقيدة التي جاء بها السيد المسيح.

كان هذا عرضاً سريعاً لأهم أسباب تسرب الأفكار والعقائد الوثنية إلى الديانة النصرانية، وكل هذه العوامل أدت بالنهاية إلى إنتاج فكر جديد وتبلور مفاهيم ضمن العقائد النصرانية لم تكن موجودة فيها من قبل، واقتربت من خلالها كثيراً إلى الوثنيات القديمة، وهذا ما أكّد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث أكد على إرجاع العقائد النصرانية والعبادات والطقوس عامةً إلى الأصول الوثنية التي كانت تسيطر على البيئة الجديدة التي خرجت اليها المسيحية، فانتقلت إليها أساطير الأمم الوثنية كالروم والفرس واليونان والهنود بواسطة النصارى أنفسهم إلى النصرانية الحاضرة.[1]

المبحث الأول: الأثر الوثني في قضية التثليث في النصرانية والوثنيات القديمة.

لا يرضى المغرضون بالنيل من ديانةٍ ما إلا بما يزعزع أصولها الثابتة، وهذا ما استقر في نفوس أصحاب الديانات الوثنية الذين لبسوا ثوب المسيحية ظاهراً وأخذوا يبثون فيها أفكارهم، آخذين بعين الاعتبار أن التأثير يجب أن يصل إلى أصل هذه العقيدة، حتى إذا حصل ذلك لهم سَهُلَ عليهم أن يغيّروا فروعها كما يريدون بجُهدٍ بسيط.

---

(١) انظر: ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز بن ابراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ٣/٢٠٧.

وكما هو معلوم أن: العقيدة النصرانية الحاضرة تقوم على ثلاثة أسس رئيسة، وهي (التثليث)، و(الصلب والفداء)، و(القيامة)، وأثناء التمعن في هذه العقائد التي تُعدّ الركائز الأساس التي تقوم عليها النصرانية الحاضرة يتبين لنا تماماً الأثر الوثني الواضح فيها، والذي قد يصل إلى درجة التطابق التام، وباعتبار أن القول بالتثليث يُعدُّ الركيزة الأساس التي تقوم عليها النصرانية المعاصرة أردت أن أبدأ به ، موضحاً معناه عند النصارى ودليلهم على الإيمان به.

حين يطالع المرء الكتاب المقدس فإنه لن يتعرض للفظ الثالوث المقدس أبداً، بل لن يجد إشارة في الكتاب المقدس تشير إليه سوى الإعلان الوارد في إنجيل متى الذي يقول: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨/ ١٩)، ولقد فَهِم النصارى من هذا الإعلان أن الله – تعالى عما يقولون – يتألف من ثلاثة أقانيم هي الآب والابن والروح القدس، لكن عند التحقيق في هذه المسألة التي تُعد جوهر العقيدة النصرانية يتضح لنا أنها من مواريث الأمم السابقة ودخيلة على النصرانية، أما النصوص التي تتحدث بشكل صريح تماماً عن التثليث فهي موجودة في رسائل بولس.[١]

يرى الباحثون أن القول بالتثليث هو مرحلة وسطى بين التعدد المطلق للآلهة والتوحيد التام؛ فمنذ نشأة الخليقة والإنسان في بحث دائم عن القوى الخفية التي تحكم الكون، ولم يكن الإنسان قادراً أن يجمع بين تلك القوى في كائن واحد، فصار يتخذ من كل ظاهرة إلهاً يعبده، ثم أخذ ذلك العدد يتناقص حتى استقر في معظم الأحيان على إلهين أو ثلاثة، والمتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد أن الثالوث المقدس يُعَدُّ الأصل الأهم من أصولها.[٢]

من هذا ندرك أن بولس لم يأت بجديدٍ ليبني عليه مبادئه، ولم يتعب في الحصول على مادة يُغذي بها أغراضه؛ لأنه رأى في الوثنيات واستعداد الناس لقبولها – نتيجة تأثير

(١) انظر: نايتون (أندريه) ووينـد (إدغارد) ويونغ (كارل غوستاف)، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د/ ط.ت، ص٤٣.

(٢) انظر: مرجان (محمد مجدي)، الله واحد أم ثالوث، مكتبة النافذة، ط٢، ٢٠٠٤م، ص ٦٤.

الهيئة الحاكمة عليهم – ما أمده بالعُدة اللازمة لتغيير الحقائق المسيحية التي جاء بها السيد المسيح.[1]

ولما لم تتوافر في المسيحية مقومات التأثير في تلك المجتمعات – حيث كانت دعوة خاصة لبني إسرائيل، وليس لها الصبغة العالمية التي يمكن أن تتغلب بها على الأديان والوثنيات – فإنها غُلبت، وأمكن للديانات الوثنية أن تصبغها بصبغتها، ولو استعرضنا بعض الوثنيات التي سبقت الديانة المسيحية بعدة قرون لوجدنا أن القول بالتثليث متأصلٌ في أكثرها ، وعند ذلك نتيقن أن وجود هذه العقيدة في النصرانية نابعٌ من تأثرها بالديانات السابقة لا أكثر.

المطلب الأول: التثليث عند الهنود البراهمة وعند البوذيين:

لو ألقينا نظرة على الديانة الهندوسية القديمة لوجدنا أن أشهر عباداتهم هو القول بالثالوث المقدس، ويدعون هذا التعليم في لغتهم (تري مورتي) أي الأقانيم الثلاثة (برهمه وفيشنو وشيفا)، ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة، ويرمزون لهذا الثالوث بثلاثة أحرف (أوم) ولا ينطقون بها إلا في صلاتهم، يقولون: لما أراد برهمه خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تُؤثر فيه الصفات أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو (برهمه الخالق)، ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود فصار (فيشنو) الحافظ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فصار (شيفا) المهلك[2]، لذا فهم يعتبرونها ثلاثة جوانب لإله واحد، أو يعتبرون (براهمه) إلهاً واحداً له ثلاثة أقانيم، فهو (براهمه) من حيث هو موجد، و(فيشنو) من حيث هو حافظ،

(١) انظر: وصفي (محمد)، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، دار الفضيلة، د/ط، ١٩٩٢م، ص١٣٥.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٥٥، وشلبي (أحمد)، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط ١١، د/ت، ص٤٦، والطهطاوي (محمد عزت)، النصرانية في الميزان، دار القلم (دمشق)، د/ط.ت، ص٣٨٥، والفاضلي (داود علي)، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، مكتبة المعارف، د/ط.ت، ص ٢٠٨.

و(شيفا) من حيث هو مهلك.[١]

ويوضحون هذا المعتقد بقولهم: (برهمه) الممثل لمبادئ التكوين والخلق وهو الآب، و(فيشنو) يمثل مبادئ الحماية والحفظ وهو الابن، وهو الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس، و(شيفا) المبدئ والمهلك والمبيد والمعيد هو روح القدس.[٢]

ويعتقد الهنود البراهمة أن إله الخير فيشنو قد جاء وحلّ في إنسان يُدعى كرشنا، فالتقى في كرشنا اللاهوت والناسوت، ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء ألوهية والذي قدم نفسه فداءً للبشرية من أجل محو الذنوب وخطايا البشر، وعند الحديث عن مولده فإنهم يصفونه بأوصاف تطابق تماماً كلام النصارى عن السيد المسيح عليه السلام ومولده.[٣]

فهذا دليل واضح على تأثر النصرانية بالهندوسية التي سبقتها بأكثر من خمسة قرون، ولا داعي للتعرض للموازنة العامة بين الهندوسية البراهمية والنصرانية.[٤]

أما البوذية: فهي ديانة وضعية يدين بها الغالبية العظمى من سكان الصين واليابان، ويعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يطلقون عليه اسم (فو)، وهم بهذا يقتربون من ثالوث الهندوس؛ حيث يصورونه في معابدهم على شكل الأصنام التي وُجدت في الهند، ويقولون: إنه إله واحد ، لكنه ذو ثلاثة أشكال، وثلاثة أقانيم، ويقولون بالحروف: الألف والواو والميم، كما يقول الهندوس تماماً.

---

(١) انظر: حلاق (ثائر)، العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة (القاهرة)، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، ص٣١٨.

(٢) انظر: العاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ص ٣٣٥.

(٣) الطهطاوي (محمد عزت)، الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، دار القلم (دمشق)، ط ١، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م، ص٥٩، وطه (عزية علي)، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دار الموصل، د/ط.ت، ص٢٣٦، وعمران (أحمد)، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، دار الوعي (بيروت)، د/ط، ١٩٩٦، ص٢١٠

(٤) لمراجعة الجداول المقارنة بين الهندوسية والنصرانية؛ لا سيما فيما يتعلق بالإله كرشنا انظر الطهطاوي: النصرانية والإسلام، ص ١٠٦، ووصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص١٣٧.

كما أنَّ أنصار الفيلسوف (لاوكومنذا) الذي ولد سنة ٦٠٤ ق.م، كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، وأساس تعليمهم أن (تاوو) –وهو العقل الأبدي– انبثق منه واحد، وهذا الواحد انبثق منه ثانٍ، ومن الثاني انبثق ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء.[١]

ولعل الراجح في هذه الديانة أنها مذهب فلسفي انشق عن الديانة البرهمية مع بعض التعديلات، ونشأ تخفيفاً لما جاء في البرهمية من تعاليم، وإزالة لما أحدثته من تفريق بين الناس ينتقل بالوراثة [٢]، وأساس تلك الديانة هي النيرفانا، ولم يدع بوذا يوماً أنه إله أو ابن إله، لكن الكهنة ابتدعوا الثالوث البوذي، وهو: الإله الخالق.

بوذا الابن المتولد من العذراء مايا الموكل بحساب كل الناس.

الروح القدس، وهو الذي حل على العذراء مايا فولدت بوذا.[٣]

ومن خلال المقارنة البسيطة بين الثالوث المقدس عند النصارى والثالوث عند البوذيين نفهم تماماً التأثير الواضح للبوذية في العقيدة النصرانية.

المطلب الثاني: التثليث عند المصريين وعند اليونانيين:

كان المصريون من أول الشعوب المعنية بمسألة تعدد الأقانيم، فقد تكشّف للعلماء في القرن التاسع عشر حقيقة المصريين القدماء وديانتهم، وذلك بعد الرجوع إلى الوثائق التاريخية التي وجدت مكتوبة على أوراق البردي والنقوش والكتابات المكتوبة على واجهات المعابد والهياكل والمقابر والتوابيت، فكان الشعب المصري يعبد الآلهة المثلثة المكونة من أب وأم وابن، وأشهر آلهة عُبدت في مصر هي: أسرة أوزيريس (الأب)، وإيزيس (الأم)، وحورس (الابن) ، وهي آلهة الطبيعة والمجتمع الإنساني، وهي أحب

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٨٥، وثويتزر (ألبير)، فكر الهند، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات، ط١، ١٩٩٤م، ص٩٢، والخلف، (سعود بن عبد العزيز)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، أضواء السلف (الرياض)، ط١، ١٤١٨ه، ١٩٩٧م، ص٢٥٨، وشبلي، (عبد الودود)، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، الدار السعودية للنشر والتوزيع (جدة)، ط٢، ١٤١٨ه، ١٩٩٧م، ص٢.

(٢) انظر: طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٤١.

(٣) انظر: الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص٣٨٦.

آلهة إلى المصريين القدماء[١]، وهناك الثالوث (تاح الآب، وتوت الابن ، وحورس الروح القدس) والثالوث الآخر (آمون الآب ، وكونس الابن، وموث الأم)، وهذا الثالوث الأخير: يُقال إنه مأخوذ من الثالوث الهندي قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من ستة قرون[٢]، وهكذا، فقد كان المصريون يعتقدون أن كل شيء صار بواسطة لاهوت الكلمة الذي هو الابن، وأنها منبثقة من الله ، وأنها الله، وكان للكلمة مقاماً سامياً عندهم، ولقد وردت في كتبهم المقدسة الجملة التالية: «**إني أعلم بسر لاهوت الكلمة، وهي رب كل شيء وهو الصانع لها**».[٣]وكانوا يرمزون للآلهة الثلاثة بجناح طير ووكر وأفعى.[٤]

وهناك أنواع أخرى للثالوث المقدس لدى المصريين، منها ثالوث التكوين بعد الحياة، وثالوث القوى الحارسة للفرد أثناء حياته، وثالوث ما بعد الموت، والثالوث الأبدي، وغيرها كثير.[٥]

ومن الملاحظ في عقيدة المصريين القدامى: أن فكرة الثالوث تطورت إلى أكثر من ثلاثة آلهات، فأصبح العدد تسع آلهات، وكلها متفرعة عن بعضها، فالثالوث غدا ثلاثة ثواليث، الأول (آتون وآمون ورع) ولعله الثالوث الأقدم؛ لأن الدراسات الحديثة تشير إلى أن (رع) هو أقدم إله عُبد في مصر[٦]، والثاني (قيت وتيت وشر) والثالث (إيزيس

(١) انظر: بريستيد (جيمس هنري)، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ط.ت، ص١٠٩.

(٢) انظر: نايتون (أندريه) ووينـد (إدغارد) ويونغ (كارل غوستاف)، الأصول الوثنية للمسيحية، ص٤٤، والبار (محمد علي)، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، دار القلم (دمشق)، د/ط.ت، ص٢٨٢، والطهطاوي، النصرانية والإسلام ص١٢٦، ووصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص١٤٣.

(٣) انظر: آنتس (رودلف)، الأساطير في مصر القديمة، ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة، ط١، ١٩٧٤م، ص٧٧، والتنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٦٣.

(٤) انظر: عمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص ٢١١

(٥) انظر: ناصف (هبة عبد المنصف)، الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة أُعدّت لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب جامعة (طنطا)، ١٤٢١ه، ٢٠٠٣، ص١١٣، والماجدي (خزعل)، الدين المصري، دار الشروق (عمان)، ط١، ١٩٩٩م، ص١٨٣.

(٦) انظر: بدج (والاس)، آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي (القاهرة)،

وأوزيريس وسيت) وهذا طبعاً حسب اختلاف المسميات عما سبق، ولقد حاول الملك الفرعوني (أخناتون) أن يصد تلك الهجمة الوثنية فقام بثورته المعروفة ضد المعابد الوثنية، لكن وقوف الكهنة في وجهه أدى إلى فشل الثورة على يده ما أدى إلى تغلغل الشرك في عقيدتهم حتى أصبحت مدنهم مليئة بالأصنام [١].

مما تقدم ندرك أن ثالوث النصارى ليس بعيداً عن هذه العقائد المصرية.

وفي اليونان– أيضاً– كانت عقيدة الثالوث منتشرة كذلك، فكانوا –كذلك– يعتقدون بالإله المثلث الأقانيم، وكان قسيسوهم إذا أرادوا تقديم الذبائح يرشّون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات، ويرشّون المجتمعين حول المذبح ثلاث مرات كذلك، وذلك إشارة منهم إلى الثالوث المقدس، ويأخذون البخور بثلاثة أصابع، وكانوا يعتقدون أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، لذا كانت لهم عناية بالغة بالعدد ثلاثة.[٢]

ومما لا شك فيه عند الباحثين : أن اليونانيين استمدوا الكثير من مبادئ حضارتهم من الأمم الشرقية لا سيما مصر، ولكن جاءت صياغة هذه الأفكار بأسلوب يوناني يمازجه الخيال والشعر اللذَين اشتُهرت بهما اليونان.[٣]

ثم تطورت فكرة الإله عندهم، فلما استبد الكهنة بأسرار الوحدانية أباحوا للعامة الاعتقاد بتعدد الآلهة إلى أكثر من ثلاثة، حتى صار لكل معبود كهنة متخصصون لخدمته.[٤]

المطلب الثالث: التثليث عند الفرس وعند الكلدانيين:

د/ط، ١٤١٨ه، ١٩٩٨، ص٣٦٨.

(١) انظر: الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص٣٩٢، وللتوسع في مسألة الآلهة المصرية ووظائف الآلهة التسعة انظر الطهطاوي (محمد عزت)، النصرانية والإسلام، ص١٢٦.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٦٥، والعاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٤١، ووصفي: المسيح بين الحقائق والأوهام، ص١٤٣، وعمران: العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص٢١٢.

(٣) انظر: ابراهيم (ابراهيم محمد)، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦ه، ١٩٨٥م، ص٢١٣.

(٤) انظر: الطهطاوي، النصرانية في الميزان، ص٣٨٩.

عندما يطالع المرء ما كتبه علماء الأديان حول العقيدة الفارسية فإنه يجد نوعين من التثليث في العقائد الفارسية، يُعدّ كل واحد منهما ديناً يجمع الكثير من الأفكار والعقائد، أولهما انقرض عهده وهي الديانة الميثراسية، يتألف الثالوث فيها من (ميثرا) أو (ميثراس) الوسيط بين الله وبين الناس، و(كويتس) (وكوتوباتيس) حاملي المشعل[١]

وهناك أيضاً: الثالوث الثاني الذي يتألف من (أورمزدا ومتراث وأهرمان)، فأورمزدا يُعَدُّ الخالق وإله الخير، ومتراث ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمان المهلك وإله الشر.[٢]

وكان الكلدانيون من أوائل الشعوب التي تدين بالوثنية ومنهم ظهر سيدنا إبراهيم عليه السلام جدّ الأنبياء، وعبادة الكواكب كانت هي الشائعة بين الكلدانيين، حيث جعلوا لكل واحد من الكواكب السيارة صنماً، وأكبر الأصنام الذي كان يرمز إلى الشمس هو المعتبر عندهم أعظم الآلهة، ومن أهم آلهتهم هذا الثالوث:

بعل أو آمون إله الشمس

عشتروت أو إيزيس إله الجمال

هوروس أو تموز إله الخصب والبناء.[٣]

وكان الكلدانيون يقولون للكلمة (ممرار) واسمه المعروف (فولو)، ويعظمونه جداً ويصفونه بأنه ابن الله البكر، والنائب عن الله، وخالق العالم، والدال على الله، واسم الله، والفادي، والوسيط.[٤]

---

(١) انظر: سعفان (كامل)، معتقدات آسيوية، دار الندى (القاهرة)، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م، ص٩٤، والبار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص٢٨٧.

(٢) انظر: العاملي، الكتاب المقدس في الميزان ص٣٣٨، ووصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص١٤٤.

(٣) انظر: بريستيد، فجر الضمير ص٣٦، والطهطاوي (محمد عزت)، النصرانية في الميزان، ص٣٨٧، وعمران (أحمد)، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص٢١١.

(٤) انظر: العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٤٠، والتنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٦٤.

المطلب الرابع: التثليث عند المكسيكي وعند الإسكندنافيين:

لو نظرنا في عقيدة قدامى المكسيكيين لوجدنا أنهم يؤمنون بثالوث أيضاً يدعونه (تزكتاليبوكا) ومعه إلهان آخران أحدهما واقف عن يمين الإله المذكور واسمه (إهوتز ليبوشتكي)، والآخر واقف عن يساره (تلالوكا).

وهناك ثالوث آخر كان يُعبد عند المكسيكيين القدامى يتألف من الآب (بزونا) والابن (باكاب) وهو مولود من عذراء، والروح القدس (إيكيهيا)، وكذلك كانوا يعبدون صنماً اسمه (تنكا) يقولون عنه إنه واحد ذو أقانيم ثلاثة والثلاثة أقانيم هي إله واحد.[١]

أما الإسكندنافيون فكانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم، يدعونه (أودين الآب وتورا الابن، وفري مانح البركة والنسل والسلام) ويقولون عن هذه الأقانيم الثلاثة: إنها إله واحد، وفي مدينة (أبسالا) في السويد وُجد صنم يمثل هذا الثالوث، حتى أن أهالي السويد والنرويج والدنمارك يُفاخرون بعضهم في بناء الأصنام والهياكل لهذا الثالوث، وكانت جدران هذه الهياكل مصفحة بالذهب ومزينة بتماثيل هذا الثالوث.[٢]

تعقيب على التأثر المسيحي بالوثنيات في قضية الثالوث:

إن وجود التأثير الوثني في النصرانية في قضية التثليث واضحٌ كل الوضوح، لكن تبقى مسألة الصلة بين الوثنيات والنصرانية تحتاج لإيضاح، ولا شك أن الصلة الحقيقية بينهما هي صلة أخذ وتأثّر، وكل مشتغل في مجال التاريخ يعلم أن الوثنيات كانت أسبق في وجودها من النصرانية بقرون كثيرة، فمن ذلك ندرك أن النصرانية هي التي أخذت هذا المبدأ من الوثنيات لا العكس.[٣]

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٦٧، والعاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٤٢.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص٦٦، والعاملي: الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٤٢.

(٣) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص٤٥، وعجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٥١٦.

ولعل إدراج هذه العقيدة وتطبيعها بطابع النصرانية قد تمّ على الشكل الذي بيّنه د.أحمد عجيبة بقوله: "**إن المسيحية استقت أصول عقيدة التثليث من مواد وثنية من الديانات الشرقية، ثم استقت الطابع الفلسفي من الفلسفة الأفلاطونية، ولكي يضمن المسيحيون عدم مخالفتهم للعهد القديم المصرّح بالتوحيد أضافوا إلى عقيدة التثليث فكرة أن الثالوث واحد، وحاولوا بكل جهدهم التوفيق بين الوحدانية والتثليث**".[1]

المبحث الثاني: الأثر الوثني في مسألة الصلب والفداء في النصرانية والوثنيات القديمة.

تُعدّ فكرة التجسد والصلب والفداء من أهم العقائد التي تقوم عليها النصرانية المعاصرة، فالنصارى يعتقدون أن الله – تعالى عما يقولون – قد أرسل ابنه الوحيد بلاهوته إلى البشرية، ولقد تجسد الابن بناسوت إنسان وهو السيد المسيح عليه السلام ليموت على الصليب، ويفدي البشرية بهذا من لعنة الناموس التي استحقت على الناس بالوراثة من أبيهم آدم.

ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة» (غلاطية ٣/١٣)، وفي رسالة بولس إلى أهل تيطس: «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمالٍ حسنة» (تيطس ٢/١٤).

ربما تكون هذه العقيدة هي الفضيلة الأكبر التي تستطيع النصرانية اليوم أن تقدمها لأتباعها، ولن أتعرض خلال بحثي هذا لمناقشتها، بل إني سأقتصر على بيان وجود هذه العقيدة في أكثر الديانات الوثنية القديمة، وتأثُّر النصرانية بتلك الوثنيات حتى سرت إليها فكرة التجسد والصلب والفداء.

يتميز التراث الوثني بكثرة الأساطير التي تعتقد بصلب أحد أفراد الآلهة، ويربطون

(١) المرجع السابق، ص٥٢١.

هذا الفعل بمفهوم التضحية والفداء، وربما كان اليهود الذين ادعوا أنهم قتلوا السيد المسيح وصلبوه على صلة ثقافية بالعقائد الوثنية لدى الشعوب القديمة، فارتأوا أن أكبر إهانة يُلحقونها بالسيد المسيح عليه السلام هي ادعاؤهم أنهم قتلوه وصلبوه.

يبيّن العلامة (دوان) في كتابه (خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى) أن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداءً عن الخطيئة لهو قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم، والكتاب المقدس عندهم يمثّل أن الآلهة يقدمون (بروشا) –وهو الذكر الأول– قرباناً، ويعدونه مساوياً للخالق، وفي كتابهم أيضاً أن سيد المخلوقات (برجاباتي) قدم نفسه ذبيحة للآلهة.[1]

أما في أوساط المسيحية: فقد كان بولس أول من فسر عملية الصلب للسيد المسيح على أنها فداء للبشرية وتكفير عن خطيئتها الأولى، وقد كانت فكرة الصلب والفداء شائعةٌ في طرسوس التي عاش فيها وكانت – كما تقدّم – بؤرة الديانة الميثراسية، فنقل هذه الفكرة الوثنية إلى الديانة النصرانية، ولم تكن هذه الفكرة واردة في النصرانية.[2]

المطلب الأول: الصلب والفداء عند الهنود والبوذيين والصينيين:

لو استعرضنا قضايا العقيدة في هذه الأديان لوجدنا أنها تشترك في تناول فكرة تجسد الإله الذي اتحد لاهوته بناسوت إنسان وجاء إلى البشرية ليفديها من الخطيئة الأولى وذلك بأن يموت على الصليب، فيكون موته بهذه الطريقة تكفيراً للخطيئة الأساسية التي ورثتها البشرية عن أبيها آدم.

فالهنود يعتقدون أن كرشنا المولود البكر – الذي هو نفسه الإله فيشنو – إنما جاء ليخلص الأرض من ثقل حملها وذلك بتقديم نفسه كي يموت على الصليب، ويصفونه

---

(١) انظر: الباش (حسن)، العقيدة النصرانية بين الإنجيل والقرآن، نقلاً عن كتاب خرافات التوراة لـ (دوان)، دار قتيبة (دمشق)، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ١/ ١٥٤.

(٢) انظر: عجيبة (أحمد علي)، الخلاص المسيحي، المكتبة العصرية (القاهرة)، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٠٥، وبوخاروف (نبيل نيقولا)، المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم ديانة بولس، د/ مط، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٧٠، والقاضلي (محمد سليم)، النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ت: نبيل حامد خضر، دار الكتاب، د/ ط، ١٩٩٤م، ص٣٤.

بأنه البطل الوديع المملوء لاهوتاً؛ لأنه قدم نفسه ذبيحة، وأنه هو الغافر من الخطايا والمخلص من أفعى الموت، وأنه مات مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين.[١]

ورد في كتاب (الباجافاد جيتا) وهو الكتاب المقدس عند الهندوس يقول بوذا: «أنا التقدمة وأنا التضحية والقربان السلفي، أنا العشب الديني والترتيلة المقدسة وزبد الأضاحي، أنا النار والقربان المحترق»[٢]

أما بوذا فأتباعه يدعون أنه جاء مخلصاً للعالم وقدّم نفسه ذبيحة ليكفّر آثام البشر ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات، فهو بنظر البوذيين إنسان وإله معاً تجسد بالناسوت ليهدي الناس ويفديهم، ويقول البوذيون أيضاً: أنّ من رحمة بوذا: أنه ترك الفردوس وجاء إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشفائهم، كي يبررهم من ذنوبهم، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه.[٣]

أما الصينيون فكذلك يعتقدون بمجيء المخلص (تيان) إلى العالم من أجل الخلاص ويصفون مخلصهم بأنه إلهي قديم العهد، وأنه سيعيد الكون إلى البر، وأنه هو الوحيد القادر على أن يُقدم للرب ذبيحة تليق به، فلأجل الناس يموت ليخلص الطالح، ويقولون عنه أيضاً : إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شيء.[٤]

المطلب الثاني: الصلب عند اليونان والرومان والفرس والمكسيكيين:

كانت اليونان الوثنية قد تأصّلت فيها عبادة الآلهة المتعددة، وكان كل ثالوث فيها

---

(١) انظر: العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٢٤، وسعفان، معتقدات آسيوية، ص٢١٩، والباش، العقيدة النصرانية بين الإنجيل والقرآن، ١/ ١٥٤، وعطية (هالة شحاتة)، النصرانية خواطر وأفكار، مركز التنوير الإسلامي (القاهرة)، د/ط، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م، ص١٣٢.

(٢) شاستري (شاكوانتالا راوا)، الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر (اللاذقية)، ط١، ١٩٩٣م، ص٨٣.

(٣) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٧٧، والخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص٢٥٨، وعمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص١٧٤، والباش، العقيدة النصرانية بين الإنجيل والقرآن ١/ ١٥٥.

(٤) انظر: العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٢٦، وعمران: العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص١٧٥.

لا يخلو عن مصلوب وفادي، يقولون: بأنه إله تجسد وتأنس؛ ليموت على الصليب، فمثلاً (بروميسيون) كانوا يدعونه مخلصاً، وأنه هو الإله الحي صديق البشر، وهو الذي قدم نفسه ذبيحة لخلاص الناس، وكذلك كان حال الرومان في تعدد الثالوث عندهم، وكانوا يدعون (باخوس) بأنه المخلص والذبيح، وحامل الخطايا والفادي، وكان (اسكولابيوس) يُدعى أيضاً المخلص، وكذلك (هيركلوس) فقد وُجدت نقود منقوش عليها (هيركلوس المخلص)، وكانوا يسمونه بالكلمة والابن، ولقد كانت هذه الكثرة في فكرة الألوهية نتيجة أن الرومان كانوا يعبدون ملوكهم وسلاطينهم، وأما الفرس فكذلك كانوا يعتقدون أن ميترا أو ميثراس هو الوسيط بين الله والناس، وأنه هو المخلص الذي بتألمه خلّص الناس وفداهم، ويدعونه أيضاً (الكلمة) و(الفادي).[1]

المطلب الثالث: الصلب عند المصريين والفريجيين والسوريين:

يعُدُّ المصريون القدامى إلههم أوزيريس أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة، ويقولون : إن تألمه وموته هما السر العظيم في ديانتهم، وإنه مات على الصليب، وأما الفريجيون فيعتقدون أن (هورس) هو المخلص والفادي، وكذلك كان منهم من يعبد الإله (آتيس)، ويمثلونه برجلٍ مقيد على شجرة ومصلوب لأجل خلاص البشرية، وكان السوريون يعتقدون أن الإله تموز المولود البكر من العذراء تألم من أجل الناس، ويسمونه بالمخلص والفادي والمصلوب.[2]

تعقيب على التأثر المسيحي بالوثنيات في قضية الصلب والفداء:

فمن عرض ما سبق نستنتج أن عقيدة الصلب والفداء والخلاص هي في الأصل عقيدة وثنية ، ظهرت في الأمم القديمة قبل مجيء السيد المسيح عليه السلام بقرون عدة، ولقد سجل

---

(١) انظر: العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٢٨، وبوخاروف، المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم ديانة بولس، ص ٧١، وعمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص١٧٧.

(٢) انظر: تشرني (ياروسلاف)، الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدري، هيئة الآثار، ط ١، ١٩٨٧م، ص١٥٥، والخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٢٥٨، وعمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس النصرانية، ص١٧٦-١٧٥.

التاريخ الكثير من المخلصين كانوا في نظر الأجيال التي جاءت بعدهم آلهة وأبناء آلهة، وكل واحد كان يوصف عند أتباعه بالمخلص وابن الله الوحيد من أمثال بوذا وميثراس وكرشنا وغيرهم، من هذا ندرك أن العالم الديني الوثني وقت ظهور المسيحية كان يركّز على فكرة المخلّص.

لكن تبقى مسألة الصلة بين النصرانية والوثنيات محل اختلاف، مع أن الفكرة واحدة في كل من النصرانية والوثنيات كما مرّ، والتشابه جليٌّ جداً، حتى باعتراف الكُتّاب المسيحيين، يقول د. فهيم عزيز: "كانت الديانات السرية تشبه المسيحية في بعض الخطوط الرئيسية، فمثلاً كانت الديانات السرية تعتقد بأن الإله يموت ويقوم".(١)

من الملاحظ أن الكاتب أقر بالتشابه بين الوثنيات والنصرانية، إلا أنه عكَس الأمر، إذ ليست الوثنيات هي التي تأثرت بالمسيحية، بل المسيحية هي التي سرى إليها التأثير الوثني، لا سيما أنها أسبق في الوجود من الوثنيات القديمة.(٢)

فإذا علمنا كونها عقيدة متقدمة على وجود السيد المسيح بقرون عدة ثم وجدناها عند النصارى بنفس التفاصيل والصفات التي هي عند الوثنيين فإننا ندرك عندها أن النصرانية قد تبنت هذه الفكرة بعد أن استعارتها من تلك الوثنيات القديمة.

المبحث الثالث: الأثر الوثني في مسألة القيامة في النصرانية والوثنيات القديمة.

من أحد الأسس المهمة التي ترتكز عليها النصرانية المعاصرة : القول بقيامة السيد المسيح عليه السلام، حيث يقولون: بأن السيد المسيح قد نزل إلى الأرض بمهمةٍ هي السبب في مغفرة خطايا بني آدم، وهي أن يُقتل ويصلب، وبعد أن حدث له ذلك – كما تروي الأناجيل – قام من بين الأموات وعاد إلى الحياة بتاريخ ٢٥ آذار، وهو بقيامه هذا يشير إلى أن طبيعته الإلهية قد غلبت الموت، ومكث بين أصحابه أياماً اختُلف في عددها ثم رُفع

(١) فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، دار الثقافة المسيحية، (القاهرة)، د/ط.ت، ص٨٠.
(٢) انظر: عجيبة، تأثّر المسيحية بالأديان الوضعية، ص٥٧٨.

إلى السماء ليجلس عن يمين الله.

ولقد شهدت الأناجيل على ذلك، «وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي، أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث» (لوقا: ٢٤/ ٦٤)، «فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا، فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع» (يوحنا: ٢/ ٢٢)، «هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الأموات» (يوحنا: ٢١/ ١٤)، «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي» (عبرانيين: ١٣/ ٢٠)، «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات» (غلاطية: ١/ ١).

هذه الفكرة أيضاً سابقة على وجود السيد المسيح عليه السلام بعدة قرون، فالمطالع للديانات الوثنية يلحظ التطابق التام في مسألة القيامة بينها وبين النصرانية، إذ أنّ كل ديانة تدعي أن مخلّصها قام من بين الأموات بعد ما دُفن وقُبر ومكث مدة في الأرض ثم رُفع إلى السماء، وسوف نرى هذا التطابق من خلال العرض التالي:

المطلب الأول: القيامة عند الهنود والبوذيين والصينيين:

أما في الهند فإن ديانتهم السائدة هي الهندوسية، ومخلصهم هو الإله (كرشنا)، ويعتقد الهنود بقيام كرشنا من الموت بعد أن مات على الصليب، وأنه صعد إلى السماء بجسده، وأثناء صعوده إلى السماء ظهر نور أضاء الأرض والسماء، يقول الهندوس إشارة إلى ذلك: «هو ذا كرشنا صاعد إلى السموات».[1]

كما أن قصة قيام (بوذا) من بين الأموات تشابه قصة (كرشنا)، ويقولون: إنه لما مات سُكبت الدموع عليه، وحزن أهل السموات والأرض لموت إله المحبة، حتى الإله العظيم حزن حزناً شديداً فنادى: «قم أيها المحب المقدس فعند ذلك شُق قبره بقوة من قوى ما فوق الطبيعة، قام بوذا حياً وبُدّلت الأحزان أفراحاً، ونادت السماء فرحة: (عاد

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٥٧، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٣٩.

الإله الذي مات وظُنَّ أنه فُقِد)، ثم صعد بجسمه إلى السماء».[١]

أما الصينيون فإنهم كذلك يعتقدون بموت مخلصهم على الصليب، وأنه لما أتم أعماله الخيرية في الأرض وبعد موته قام من الموت، وصعد بجسده إلى السماء.[٢]

المطلب الثاني: القيامة عند البابليين والمصريين والفريجيين:

الإله بعل هو إله عُبد بدايةً في بلاد كنعان، وكان اسمه الشخصي (حدد)، وكلمة بعل تعني السيد، ثم توسعت تلك الديانة في البلاد واعتنقها البابليون وبعض المصريين، وأطلقوا عليه لفظ (أدون) وهي تعني بالآرامية (إله) ثم أُدخلت إليها الياء فصارت (أدونيس) بمعنى إلهي، ويسميه السوريون (تموز)، وقصة قيامة الإله بعل ذات البُعد الزماني تتشابه كثيراً مع قيامة المسيح عليه السلام، ويقولون: إنه بعد ما قتلوه قام من بين الأموات، وكانوا في يوم ذكرى قيامته في ٢٥ آذار يجتمعون ويرتلون بعض الأناشيد ويندبون، ثم يمسحون أفواههم بالزيت ويقولون: «ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم، واتكلوا على ربكم الذي قام من الموت، فبآلامه استجلب لنا الخلاص، ثم بعد ذلك يذكرون قيامته؛ فيتبدل الحزن فرحاً»[٣]

وكان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيامة أدوني، ويأتون بصنم ويتلون عليه أناشيد الحزن واليأس وهم يبكون، وبعد ذلك ترتفع أصوات الفرح والسرور، ويُنادى بأن أدوني عاد حياً وقام.[٤]

أما المصريون القدماء: فكذلك كانوا يعتقدون أن (أوزيريس) المخلّص المولود

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٥٧، والقفاري (ناصر بن عبد الله)، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصميعي (الرياض)، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢، ص٨٤، وجومال (علي خان)، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ترجمة: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة، د/ط، ١٩٦٨، ص١٧٠.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٥٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٥٩، وجومّال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص١٦٠، ١٦٤، وعمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، ص٢٠٥.

(٤) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٥٩.

من عذراء قام من بعد موته، لذا كانوا يدعونه بـ (الواحد المبعوث)، وكانوا يعيدون عيد الفصح بفصل الربيع؛ تذكاراً لقيام الإله المخلص أدوني من بين الأموات، فكان المصريون يثقون جداً بهذا الإله ويعتقدون أنهم بعد موتهم سوف يقومون للدنيا أحياء مثله، ويحزنون عليه ثلاثة أيام يقضونها بالبكاء والنحيب ثم يباشرون عيد قيامه من بين الأموات.[١]

وكذلك (آتيس) مخلص الفريجيين وإلههم قُتل ظلماً ثم قام من بين الأموات، ويحكون قصة ولادته وقيامه بروايات مختلفة لكن فحواها واحد، أنه تُرك ينزف دماً في يوم ٢٥ آذار عند جذع شجرة صنوبر، وأن دمه قد جدد خصوبة الأرض، ومنح البشر بهذا حياة جديدة، ثم قُبر وعاد إلى الحياة مع الربيع بتاريخ ٢٥ آذار في عيد الفصح.[٢]

المطلب الثالث: القيامة عند الفرس والمكسيكيين والإسكندنافيين:

كان الفرس يعتقدون أن إلههم ميثرا الذي مات قتيلاً قد قام من بين الأموات في اليوم الثاني من موته، وكانت قيامته بتاريخ ٢٥ آذار، وكان كهنتهم يقعدون على القبر الذي يعملونه في معابدهم يوم موته فيبكون ويندبون، ثم يُشعلون السُرُج بغتة وينادون «افرحوا وتهللوا أيها القديسون المخلصون فقد عاد ربكم الذي بآلامه وأوجاعه نلنا الخلاص»[٣]

أما المكسيكيون فكذلك يعتقدون بقيامة مخلصهم وإلههم (كوتز الكوتل) التي تعني

---

(١) انظر: إرمان (أدولف)، ديانة مصر القديمة، ترجمة: محمد أبو شكري ومحمد عبد المنعم أبو بكر، دار البابي الحلبي، ط١، ١٩٨٣، ص١٢٥، ولالويت (كلير)، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات في مطبعة اليونيسكو (القاهرة – باريس)، ط١، ١٩٩٦، ٢/٩٦، وشلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٥٣.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٦٠، جومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص١٦٠، والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١١٠، وشلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٥٢.

(٣) انظر: الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص٩٩، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٣٤، وشلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، ص٥٣.

(ابننا الحبيب) يقولون أنه قُتل صلباً في وقت كانت فيه الشمس مظلمة دون أي ضوء، ثم قام من بين الأموات.[١]

كذلك كان المعتقد الشائع بين الإسكندنافيين أن إلههم ومخلصهم (يلدور) قُتل وقام من الموت إلى الحياة الأبدية، ولقد ورد في كتب تراثهم العبارات الآتية: «لما نزل يلدور الصالح والإله الرحيم إلى الجحيم قال لهرمود الذي بكى عليه وفداه: قل لكل مَن في العالم من حي وغير حي أن يبكوا علي كي أعود إلى عند الآلهة، ولما سمع منه هذا الخطاب أرسل الدعاة إلى كافة أنحاء العالم كي يبكوا ويندبوا ليتخلص يلدور من الجحيم، فبكوه بتلهف وعند ذلك عاد حياً»[٢]

تعقيب على التأثر المسيحي بالوثنيات في قضية القيامة:

فمن العرض السابق يتبين لنا الأثر الواضح للوثنيات القديمة في النصرانية المعاصرة، يقول شارل جنيبير: إن آثار الأسطورة الشرقية القديمة التي تدور حول فكرة إله يموت ثم يُبعث ليسير بأتباعه نحو الخلود تسربت إلى ضمير المجتمعات المسيحية، أو على الأقل منها: تلك المتأثرة بالفكر اليوناني، فلم يلبث عيسى أن تحول بها من مسيح يهودي وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان إلى عيسى المسيح السيد والمنقذ ابن الله.[٣]

وهكذا فإن عقيدة قيامة المسيح من بين الأموات قبسٌ من الوثنية التي كانت تعتقد قبل ظهور المسيحية يموت إلهها المخلّص؛ حيث نرى التطابق التام فيها بين النصرانية والوثنيات القديمة، ومن هذا نعلم: أن مسألة القيامة في النصرانية ما هي إلا نسخة من المعتقدات الوثنية.

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٦٢، وجومّال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص ١٦١.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٦٢.

(٣) شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، د/ط.ت، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت)، د/ط.ت، ص٩٤-٩٥.

المبحث الرابع: الأثر الوثني فيما يتعلق بولادة السيد المسيح عليه السلام:

لم يقتصر استجرار الأفكار من الوثنيات القديمة على أصول العقيدة المسيحية الثلاثة، بل امتد ذلك أيضاً ليشمل شخصية السيد المسيح عليه السلام، فحين نتصفح ما ورد في العهد الجديد من إعلانات تصف السيد المسيح وتتكلم عن أمور تختص به فإننا نلحظ الأثر الوثني الواضح في تلك الإعلانات، وهذا ما جعل النصارى ينسجون حول السيد المسيح وحول شخصيته النبوية الكثيرَ من الأساطير المستمدة من الوثنيات، وسوف أقوم بعرض موجز لأهم المحاور التي تتلاقى فيها النصرانية مع الوثنيات فيما يتصل بشخص السيد المسيح عليه السلام.

المطلب الأول: ظهور النجم الدال على المسيح:

ورد في الكتاب المقدس إعلان يشير إلى أن ولادة السيد المسيح عليه السلام احتفت بقرائن تدل على ألوهيته، وكانت هذه الأمور التي اقترنت بولادة السيد المسيح هي بعينها الغرائب التي ظهرت أثناء ولادة الكثير من الآلهات الوثنية؛ لذا فإن هذا التوافق دليل واضح على التأثير الوثني الحاصل في النصرانية الحالية.

ظهور نجم في السماء من ناحية المشرق هو دليل يستدل الوثنيون به على مكان ولادة أبناء لآلهة، وكذلك استدل المجوس بهذا الدليل على محل ولادة يسوع المسيح عليه السلام كما ورد في متى: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم، قائلين أين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» (متى: ٢/ ١-٢)، وورد في إنجيل برنابا: «فاستحضر هيرودس إذ ذاك المجوس وسألهم عن مجيئهم ، فأجابوا أنهم رأوا نجماً في المشرق هداهم إلى هناك، فلذلك أحبوا أن يقدموا هدايا ويسجدوا لهذا الملك الجديد الذي تبدى لهم نجمه» (برنابا: ١/ ٦)، وجاء في كتب البوذيين المقدسة أن السموات قد بشرت بولادة بوذا، وظهر نجم مشرق في الأفق يدعونه في كتبهم المذكورة بنجم

المسيح.[١]

أما الإله الهندوسي (كرشنا) فإنه لما وُلِد ظهرت نجوم في السماء، وقد دلَّ المتنبئ المنجم (ناريد) عليها، حتى إن كافة الآلهة الهندوسية دلّ على ولادتها نجوم كُوِّنت لأجلها، ويُقال: إن ولادة الإله (كرشنا) كانت سبباً في تكوّن برج السرطان.[٢]

والصينيون يعتقدون أن الحكيم كونفوشيوس لما وُلد ظهر نجم في السماء دل على ولادته.[٣]

وكذلك كان الحال عند اليونان والرومان، فقد كانوا يعتقدون أن ظهور بعض النجوم يدل على ولادة العظماء، وكذلك اختفاء بعض النجوم يدل على موت عظيم من العظماء.[٤]

المطلب الثاني: الجنود السماوية التي ظهرت عند ولادة السيد المسيح عليه السلام:

ورد في إنجيل لوقا إعلان يدل على أن ولادة السيد المسيح اقترنت بظهور عدد من الجنود السماوية من الملائكة التي كانت تسبح وتمجد، يقول لوقا: «وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين، المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة» (لوقا: ٢/ ١٣-١٤).

وورد أيضاً ما يفيد حصول الأمر ذاته أثناء ولادة أبناء الآلهة الوثنية، ففي كتب الهندوس المقدسة ورد النص التالي: «عندما كانت العذراء ديفاكي حُبلى بحامي العالم مجّدها الآلهة، ويوم ولادتها عمّت المسرات، وأضاء الكون بالأنوار وترنمت آلهة السماء ورتلت الأرواح».[٥]

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١١١، والعاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٧٣، والقاضلي، النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ص٤٠.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١١١، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٣٧، والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١٠٧.

(٣) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١١١.

(٤) انظر: المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١١٧، والعاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٦٧، والطهطاوي،

وهكذا- أيضاً- يقولون عن ولادة بوذا، أنه سمع سكان الأرض أنغاماً مطربة، وأمطرت السماء أزهاراً وعطراً، وهبّ نسيم لطيف، وأضاء نور عجيب، وصارت الأرواح التي أحاطت بالعذراء مايا وابنها المخلص تسبح وتبارك.[1]

أما الصينيون فيقولون: إنه ظهرت علامات سماوية مع ولادة كونفوشيوس، وفي المساء الذي وُلد فيه سمعت أمه بأذنها نغم موسيقى سماوية، وكذلك ورد في شأن أوزيريس عند المصريين.[2]

المطلب الثالث: السيد المسيح والآلهات الوثنية بين يدي الرعاة:

ورد في الكتاب المقدس ما يدل على أنه بعد ولادة السيد المسيح عليه السلام جاء إليه الرعاة ورأوه وعرفوا أنه إله لا سيما بعد أن رأوا النجم الذي يدل على مولد الإله، ولقد ورد في الإنجيل عبارتان:

الأولى: تدل على أن الذين جاؤوا إلى المسيح هم من الرعاة.

والأخرى: تقول إنهم كانوا من المجوس، ففي متى ورد: «فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه، فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولبناً مراً» (متى: ٢/ ١٠- ١١).

وفي لوقا ورد الإعلان التالي: «ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذي أعلمنا به الرب» (لوقا: ٢/ ١٥)، وكذلك ورد مثل هذا الكلام في حق الآلهات الوثنية في كتبهم، أمثال: كرشنا، وبوذا ، واسكولابيوس.

فمثلاً كرشنا وُضِع في المهد بين يدي الرعاة، وهم أول مَن عرف جلاله الدال على

النصرانية والإسلام، ص١٠٧.

(١) انظر: جومّال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص١٦٧، والعاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٧٤، وعطية، النصرانية خواطر وأفكار، ص٩٩، والقاضلي، النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ص٤٠.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١١٧.

ألوهيته، وسجدوا له، وسمع به المتنبئ الهندي (ناريد) فذهب وزار أباه وأمه، وبعد فحصه للنجوم قرر أنه من أصل إلهي، وأعطى لكرشنا هدايا من خشب الصندل والطيب.[1]

وكذلك بوذا الإله الهندي الصيني، فإنه بعد ولادته زاره رجال حكماء وعرفوا علامات لاهوته، ودعوه إله الآلهة وأهدوه هدايا من المجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة.[2]

المطلب الرابع: السلالة الملوكانية للمسيح والآلهات الوثنية:

الأناجيل الموجودة بين أيدينا تَصل نسب السيد المسيح بالنبي داود عليه السلام، ففي متى «كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم» (متى: ١/ ١)، ويقول أيضاً: «قائلا ماذا تظنون في المسيح ابن من هو قالوا له ابن داود» (متى: ٢٢/ ٤٢)، وفي لوقا: «فصرخ قائلا يا يسوع ابن داود ارحمني» (لوقا: ١٨/ ٣٨) من النصوص السابقة يتبين أنّ السيد المسيح جاء من سلالة ملوك، ومع ذلك فإنه وُلد فقيراً في غار وعاش فقيراً، حتى حين صُلب – كما يدعي النصارى – كان معروفاً من حياته أنه كان فقيراً يسعى لقوت نفسه وأمه وإخوته.

أما الأمم الوثنية فإنها كذلك تعتقد أن مخلصيها كلهم من سلالة ملوكانية، فكرشنا عند الهندوس يعدّونه مخلصاً من سلالة ملوكانية، وأنه وُلِد بحال التواضع والانكسار في كهف.[3]

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٢٣، والعاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٦٨، والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١٠٨.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٢٣، وجومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص١٦٨، والعاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٧٤، والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١٠٣.

(٣) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٣٥، والعاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٦٧، والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١٠٧، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٣٧.

وكذلك بوذا عند البوذيين، هو من سلالة ملوكانية ومولود في كهف، ويعتقدون أن جده الأعلى وهو (سماتا) أول من ملك على الهند وعلى الدنيا، ويقول الصينيون عن كونفوشيوس: إنه جاء من سلالة ملوكانية، وكذلك الإله حورس عند المصريين هو من سلالة ملوكانية ومولود في كهف، واسكولابيوس الروماني أيضاً كان من نسل ملوكاني، وكذلك كان الكثير من الآلهات الوثنية، فكل مخلص منهم يدعي أتباعه أنه من سلالة ملوكانية.[1]

تعقيب على التأثر المسيحي بالوثنيات في قضية ولادة السيد المسيح:

من العرض السابق يتضح لنا الأثر الوثني في مسألة ولادة السيد المسيح، حيث ألحق النصارى بهذه الحادثة بعضاً من الأساطير الموروثة من الوثنيات القديمة في أوصاف أبناء الآلهة كانحداره من سلالة ملوكانية، وظهور النجم الدال عليه أثناء ولادته، وظهور الجنود السماوية التي تشير إلى ولادة ابن الآلهة، ومجيء الرعاة إليه كي ينظروه ويهدوه ذهباً ولبناً.

نستنتج من هذا اتساع رقعة التأثير الوثني في النصرانية؛ ليتجاوز حدود أصول الديانة ليصل إلى محاور متعددة من فروعها كولادة السيد المسيح وأوصافه الشخصية إلى غير ذلك.

المبحث الخامس: الأثر الوثني فيما يتعلق بنهاية حياة السيد المسيح على الأرض:

وكذلك مسألتا نهاية حياة السيد المسيح على الأرض، وإرادة الملك قتله، نجد فيهما الأثر الوثني الواضح، ولقد ورد فيما وصل إلينا من كتب الأمم البائدة ما يفيد وقوع هذا الشيء بعينه مع أبناء الآلهات الوثنية.

المطلب الأول: الأثر الوثني في إرادة الملك (هيرودس) قتل السيد المسيح عليه السلام:

ورد في العهد الجديد ما يفيد أن السيد المسيح عليه السلام حين كان حديث الولادة وبعد

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٣٥.

زيارة المجوس (أو الرعاة) للطفل المولود وتقديمهم الهدايا له علمَ الملك في ذاك الوقت بخبر ولادته والمعجزات والغرائب التي اقترنت بها، فأراد أن يقتل هذا الطفل، فألهم اللهُ (يوسفَ النجار) أن يأخذ الطفل وأمه ويخرج بهما من تلك المدينة هروباً من الملك الذي يريد أن يقتله، ورد في متى: «و بعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك؛ لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر» (متى: ٢/ ١٣-١٤)، ثم بعد مدة مات (هيرودس) وصار ملك اليهود في فلسطين ابنه (أرخيلاوس) عاد يوسف النجار بالطفل إلى الجليل، فظهر له ملاك في المنام وأمره أن يُبعد الطفل عن ذاك المكان ويذهب به وبأمه إلى ناحية من نواحي الجليل، ورد في متى: «ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضاً عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك، وإذ أوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل» (متى: ٢/ ٢١-٢٢).

هذا هو النص الإنجيلي الذي يفيد إرادة الملك أن يقتل السيد المسيح حين كان حديث عهد بالدنيا، وإذا تصفحنا كتب الأديان التي بين أيدينا بما نقلته من نصوص من الكتب المقدسة في الأديان المختلفة نجد كذلك أن الملوك الذين عاصروا الكثير من أبناء الآلهة أرادوا أيضاً قتلهم.

فالهندوس يعتقدون أنه لما ولد مخلصهم (كرشنا) سمعوا صوت منادٍ من السماء يقول لحاضنه: قم وخذ الولد واهرب به واقطع نهر الجومتا، ففعل ذلك؛ لأن الملك كان قاصداً إهلاك الطفل المخلص، وقد أرسل الملك المذكور رسلاً من مملكته كي يقتلوا كل مولود ذكر، وكذلك أراد هذا الملك أن يقتل القديس (راما) الذي وُلد قبل كرشنا بقليل.[1]

كما يدعي الهندوس أنه لما وُلِد (كرشنا) أخذوه بالليل وهربوا به إلى بلاد بعيدة عن محل ولادته؛ خوفاً من الملك الجبار الذي قيل بأن (كرشنا) سيكون سبباً في إهلاكه

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٣٩، العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٦٨، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٣٨.

متى شبّ، ولأجل ذلك أمر الملك بقتل كافة الأطفال الذين وُلِدوا في مملكته، حتى إنه في غار الهيكل الهندوسي الموجود بالفانتا يوجد صور الأولاد الذين ذبحهم الملك، وهي صور قديمة العهد جداً، وكذلك منقوش في الغار صورة رجل في يده حسام مسلول، وهو مباشر بقتل الأولاد، ويوجد كذلك صور رجال ونساء يتوسلون إليه لإبقاء أولادهم.[١]

كذلك الإله (بوذا) كانت حياته محفوفة بالمخاطر في طفولته، وكان في جنوب البلاد التي وُلِد فيها بوذا ملكٌ ظالم، وكان هذا الملك يخاف أن يقوم أحدٌ فيأخذ منه ملكه، من أجل ذلك جمع وزراءه وشاورهم فيما يجب عليه فعله كي يأمن على ملكه، فأخبروه أنه في شمال البلاد توجد عائلة معتبرة تدعى (سقيا)، وقد وُلِد لهم طفل يسمّى (بوذا)، وأنه سوف يحصل للملك منه شر مبين، وأنه إن بقي حياً فسوف ينتزع من الملك ملكه، فأشاروا عليه أن يُرسل إلى الشمال بعض الرجال كي يقوموا بقتل الولد.[٢]

وكذلك يدعي المصريون القدماء أن (حورس) وُلِد ورُبِّيَ سراً في جزيرة (بوتا) وذلك خوفاً من الملك الذي أراد قتله وهو طفل رضيع، و(اسكولابيوس) الإله الروماني كذلك كانت حياته محفوفة بالمخاطر، حتى أنه حين كان طفلاً وُضع على جبل (آلاس) ليموت، فوجده بعض الرعاة وأخذوه وربوه، وكذلك (أديوس) حين كان طفلاً أراد ملك عصره أن يقتله فأخذته أمه ووضعته على جبل كسيرون، فوجده بعض الرعاة فأخذوه وربوه.

والإله الفارسي (زوستر) كانت حياة محاطة بالمخاطر طيلة أيام طفولته، فهربت به أمه إلى بلاد الفرس، وعندما اشتد خوف أمه عليه رأت في منامها روحاً أخبرتها ألّا تخاف ؛ لأن الله سوف يحمي هذا الطفل؛ لأنه الرسول الذي ينتظره العالم.[٣]

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٣٩.

(٢) انظر: المرجع السابق الصفحة ذاتها والقاضلي، النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ص٤٠، الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١٠٣، وجومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص١٦٨.

(٣) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٣٩.

في هذه النصوص نلحظ الاشتراك الواضح بين الأناجيل النصرانية في العهد الجديد والنصوص المقدسة لدى الوثنيين، فكلاهما يشتركان في مسألة إرادة الملك قتل الطفل وهروب أهل الطفل به، مما يدل على أن هذه المسألة كذلك هي موروث وثني دخيل على الديانة النصرانية.

المطلب الثاني: الأثر الوثني في الغرائب التي حصلت عند وفاة السيد المسيح عليه السلام كما يدعي النصارى:

يدعي النصارى أن السيد المسيح عليه السلام مات على الصليب، وعند وفاته حصلت أمور وغرائب وعجائب تدل على عِظَم شأن المصلوب، ويدعي الوثنيون أن هذه الأمور بذاتها حصلت عند موت آلهتهم ومخلصيهم.

ورد في إنجيل متى: «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة» (متى: ٢٧/ ٤٥)، وفي مرقس: «ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة» (مرقس: ١٥/ ٣٣) «فانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل» (مرقس: ١٥/ ٣٨) وفي لوقا: «وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة، واظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه» (لوقا: ٢٣/ ٤٤-٤٥).

وانفرد الحواري متى بذكر غرائب أخرى لم يتعرض لها بقية رواة الأناجيل، ورد في متى: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (متى: ٢٧/ ٥١-٥٣).

هذه القرائن التي احتفت بوفاة السيد المسيح نرى ما يشابهها تماماً لدى الأمم الوثنية، فالهنود يقولون: إنه لما مات (كرشنا) حدث في الكون مصائب جمة وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عن نصف النهار، وأمطرت السماء ناراً ورماداً، واندلعت ألسنة اللهب، واشتعلت زبانية النيران، وصارت

الشياطين تفسد في الأرض، وشوهد عند شروق الشمس وغروبها آلاف من الأشباح تتحارب في الهواء في كل صباح ومساء.[١]

وكذلك البوذيون يقولون: إنه لما ابتدأت الحرب ما بين بوذا مخلص العالم وأمير الشياطين سقطت ألوف من النيازك الهائلة، وامتد الظلام، وتكاثفت الغيوم، حتى أن الدنيا ببحارها وجبالها اهتزت كأنها نفس تقشعر، وهاجت البحار من شدة الزلازل، وعادت مياه الأنهار إلى ينابيعها، ودُكَّت رؤوس الجبال بما عليها من الأشجار، واشتد هدير العواصف في كل مكان، واحتجبت الشمس بظلام مدلهم، ومُلئ الفضاء أرواحاً هادرة.[٢]

وأما عُبّاد المخلص (بروسيوس) فيقولون: إنه لما صُلب على جبل (قوقاسوس) اهتزت الكائنات، وزلزلت الأرض، واشتد دوي الرعد ولمعان البرق، ومزقت الرياح الشديدة ما في الفضاء كل ممزق، وهاجت الأمواج المخيفة، وظهر كأن الكون آخذ بالانحلال[٣]

واليونان والرومان يعتقدون أنه عند موت أحد الآلهة أو ولادته تحدث أمور سماوية تنبئ عن ذلك، ويقولون: إنه عند موت مؤسس روما (روملوس) حدث ظلام في الدنيا دام ست ساعات، ويعتقد الرومان أن المخلص (اسكولابيوس) حين مات أظلمت الشمس، واختبأت الطيور في أوكارها، وطأطأت الأشجار رؤوسها حزناً، واغتمت قلوب الناس؛ لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا، ويعتقد الوثنيون أنه لما مات (كوتز الكوتل) المخلص المكسيكي أظلمت الشمس ، واحتجبت أنوارها[٤]،

(١) انظر: العاملي، الكتاب المقدس في الميزان، ص٣٦٩، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٣٩، ووصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص١٣٧.
(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٨٧، والطهطاوي، النصرانية في الإسلام، ص١٠٤.
(٣) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٨٧.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص٨٨.

وكذلك بعل إله الكنعانيين بعد تنفيذ الحكم عليه عم الظلام، وانطلق الرعد، واضطرب الناس.[1]

المطلب الثالث: الأثر الوثني فيما يتعلق برجوع السيد المسيح عليه السلام إلى العالم مرةً أخرى للدينونة:

ورد في العهد الجديد أن السيد المسيح عليه السلام سوف يعود مرة أخرى إلى هذا العالم بعد موته على الصليب كي يدين الناس، ورد في إنجيل متى: «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان» (متى: ٢٤/ ٢٧)

ولا يخفى أن هذا الاعتقاد يغاير ما نعتقده نحن المسلمون؛ فالسيد المسيح في عقيدتنا لم يُقتل ولم يُصلب، بل اللطف الإلهي والعناية الربانية أدركته قبل أن يتمكن اليهود منه، فرفعه الله إليه، ثم إنه سينزل آخر الزمن كما نطقت بذلك النصوص، وهذا يختلف عن اعتقاد النصارى أنه سوف يعود إلى الأرض بعد أن قُتل وصُلب، وسيأتي من أجل أن يدين الناس ويحاسبهم.

جاء في سفر أعمال الرسل ما يفيد رجوع السيد المسيح إلى الدنيا ثانية «وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض، وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء! إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أعمال الرسل: ١/ ١٠-١١)، وفي إنجيل مرقس: «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء» (مرقس: ١٣/ ٢٦-٢٧). فمن هذه النصوص نستنتج أن النصارى يؤمنون برجعة السيد المسيح عليه السلام إلى الدنيا مرة أخرى[2]، لكن إذا تتبعنا هذه الفكرة

---

(١) انظر: الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١١٠، وطه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص٢٤٥، وجومّال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ص١٦٣.

(٢) انظر: بندلي (كوستي)، مدخل إلى العقيدة المسيحية، منشورات النور (بيروت)، ط١، ١٩٩١م، ص١١١.

في الديانات الوثنية لوجدناها تنطق أيضاً برجعة مخلصيها وأبناء آلهتها إلى الدنيا مرة أخرى بعد صلبهم وموتهم.

فالهندوس يعتقدون أن مخلصهم (كرشنا) سوف يعود ثانية إلى العالم في آخر أيام الدنيا، ويقولون: إنه متى عادت النجوم الثوابت إلى المكان الذي كان منه ابتداء دورتها، وعاد كل شيء إلى الوقت الذي ابتدأ منه فإن (كرشنا) يظهر بين الناس بهيئة فارس مدجج بالسلاح، وراكب على فرس أشهب ذي أجنحة، يحمل باليد الأولى حساماً مشتعلاً كمذنب يُهلك به الأشرار الذين لا يزالون أحياء، وفي يده الثانية خاتمٌ مضيء إشارة منه لابتداء الأجيال العظيمة، وأن القيامة قد قامت، والآخرة قد أتت، وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر، وتهتز الأرض ، وتسقط النجوم.[١]

أما أتباع (بوذا) فيعتقدون أنه قد ظهر مرات عديدة بناسوته، ليعلمهم كيفية الاتحاد بذاته، وأنه في الأيام الأخيرة سوف يعود إلى الأرض، لكنهم يقصدون بعودته إلى الأرض أن النظام والسعادة سيعودان إلى هذا العالم، ومنهم: من يقول: إن رجوعه إلى العالم سيكون بجسده ليواصل دعوته ويستعيد مجده ويملأ الأرض سعادة ونعيماً.[٢]

وأتباع (كوتز الكوتل) من المكسيكيين ينتظرون عودته إلى العالم ويعتقدون أنه قبل أن يموت أخبر سكان (متشولولا) عن مجيئه ثانيةً وحكمه عليهم، وحين قدم إليهم الإسبان ظنّ المكسيكيون أن سفن الإسبان فيها المخلص (كوتز الكوتل)، وأنه عاد إلى الدنيا كما أخبرهم.[٣]

وكذلك الأثونيون ينتظرون مجيء مخلصهم (كالويبوك) من جديد إلى العالم من أن

---

(١) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٦٧، وحلمي (مصطفى)، الإسلام والأديان، دار الدعوة، ط١، ١٤١١ه، ١٩٩٠م، ص٦٦، ووصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص١٣٧.

(٢) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٦٧، والطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص١٠٤، والقاضلي، النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ص٤٠.

(٣) انظر: التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٦٨.

يخلصهم من ظلم الألمان، وهو الآن راقدٌ إلى أن يعم البلاء، وعندها سيظهر ويخلصهم من الظلم.[1]

تعقيب على التأثر المسيحي بالوثنيات بنهاية حياة السيد المسيح على الأرض:

إن الأثر الوثني في المحاور التي تتصل بنهاية حياة السيد المسيح على الأرض أوضح من أن يحتاج إلى بيان، فكل المسائل التي تتعلق بنهاية حياة السيد المسيح مشوبة بهذا التأثير، ولعل المسائل التي أوردناها – إرادة الملك قتل السيد المسيح والخوارق التي ظهرت بالتزامن مع موته ورجوعه إلى العالم مرة أخرى للدينونة – كفيلة بتأكيد وجود العناصر الوثنية في جميع هذه المسائل.

الخاتمة:

الآن وبعد هذه الرحلة في ثنايا كتب الأديان نستطيع أن نكوّن صورة عامة عن الأثر الوثني في الديانة النصرانية.

فلما قضى الله تعالى بذهاب السيد المسيح عليه السلام من هذا العالم سواءٌ برفعه أو صلبه كما يدعي النصارى قام تلاميذه وحواريوه بنشر دعوته في التوحيد وحب الخير إلى الناس، إلا أن الوثنية وقد كانت غالبة على أهل الأرض في ذاك الزمان دفعت المتأثرين بها من أتباعها ممن اعتنق النصرانية إلى أن يستمدوا مما رسخ في أذهانهم من مظاهر الوثنية وطقوسها المنتشرة، فاستطاعوا بذلك أن يطمسوا الحق السماوي الذي جاء به السيد المسيح من العقيدة النقية والتوحيد الخالص لله تعالى.

وهكذا بمرور الوقت وتعاقب الأجيال أخذت الأحكام الإلهية تتغير شيئاً فشيئاً لتحل محلها أحكام أرضية، وأخذت العقائد تتبدل ؛ ليحل محلها عقائد وضعية، وكما تقول مريم جميلة: لقد تتبعت أصول النصرانية القائمة فوجدتها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، ولا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات وبين النصرانية سوى فروق

(١) انظر: المرجع السابق الصفحة نفسها.

شكلية في الاسم أو الصورة.[1]

نتائج البحث:

أولاً: نتائج الباحثين السابقين:

تضافرت عوامل عديدة أفقدت المسيحية نقاوتها الأولى التي جاء بها السيد المسيح، وسمحت للأفكار الوثنية بالتسرب إليها في الأصول والفروع.

الأفكار الوثنية وإن بدا أصحابها قد تخلّوا عنها في البداية إلا أنّ عقولهم الباطنة ظلت مثقلةً بها حتى إذا أُتيحت لها الفرصة المناسبة برزت من مكامنها وفرضت نفسها ومنطقها على الفكر المسيحي.

التأثير الوثني في المسيحية لا يمكن إرجاعه إلى معتقد وثني خاص، ولا إلى ديانة بعينها، بل ما يمكن أن نقوله هنا: إن الديانات الوثنية تضافرت لتنتج النصرانية الحاضرة.

الأصول التي تبنى عليها النصرانية المعاصرة وهي (التثليث والصلب والقيامة) كلها كانت نتيجة التأثير الوثني، فكل واحد منها وجدنا ما يماثله في الأديان الوثنية، ما يعني أن تغلغل التأثير الوثني في النصرانية وصل إلى أصول هذا الدين ، ولم يقتصر على فروعه.

شخصية السيد المسيح لم تكن بمنأى عن هذا التأثير الوثني الذي امتد ليستبدل شخصية المسيح النبوية بشخصية إله يُعبد كآلهة الوثنيين.

ثانياً: نتائج الباحث:

منذ أواخر القرن الثاني بدأت تفد إلى المسيحية من اليونان والرومان والمصريين أعدادٌ غفيرة ممن أناخ عليهم بؤس الحياة، وعجزَ الفكر الوثني عن إدخال العزاء إلى قلوبهم فاعتنقوا المسيحية.

---

(١) انظر: يحيى محمد: رحلتي من الكفر إلى الإيمان، دار المختار، د/ط.ت، ص١٤٢.

إيمان هذه الفئة لم يكن مبنياً على ثقافة دينية أو تاريخية أو نظريات فلسفية ، بل كان تلبية لردود فعل اجتماعية انفعالية ضاقت صدراً بحياة العبودية والاضطهاد.

هذه الفئة لم تتخلَّ عن أفكارها الوثنية إنما اعتنقت المسيحية ولا تزال معتقداتها السابقة وثقافتها الوثنية ماثلةً معها.

وُجد في تاريخ الفكر المسيحي مَن وطَّد نفسه لتهديم معالم الدين الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام، وتبديل أركانه بإدخال كل ما يُتاح له من عقائد وطقوس وثنية إلى المسيحية.

كان لبعض الفلاسفة أثر واضح في تغيير أسس العقيدة المسيحية؛ وذلك محاولةً منهم لتضليل أتباعها وتطبيعها بالطابع الوثني أمثال أمنيوس سقاس.

كل الصفات التي ألصقها النصارى بالسيد المسيح من ولاته إلى وفاته – كما يدعي النصارى – حتى ما حصل بعد وفاته بتفاصيلها الدقيقة إنْ هي إلا صفات ابن الإله عند الأمم الوثنية وصفات مخلّصهم وفاديهم.

التوصيات المقترحة:

من الضروري أن تتجه الدراسات الحديثة إلى الديانة النصرانية، تحليلاً وتفصيلاً ومقارنةً ونقداً، وأن تنحصر دوافع هذه الدراسات في (بيان الحق الذي أنزله الله)، وتلك هي المهمة الدعوية للباحث المسلم.

أن تكون الدعوة إلى الاسلام على مستوى عالٍ من الكفاءة ،وبأرقى وسائل الإعلام، وبمختلف اللغات الأجنبية، حيث تُعرَض المبادئ الإسلامية عرضاً واضحاً صادقاً لا زيف فيه ولا إسراف، متبعين في ذلك المنهج القرآني والمسلك النبوي في الدعوة إلى الإسلام، حتى يستجيب الناس للدعوة في صدق وإخلاص.

يجب على الدعاة أن يأخذوا بعين الاعتبار استخدام الأساليب الدعوية العصرية، وفي المرتبة الأولى إنشاء هيئة دعوية تتضمن مجالس موزعة على مَهَام معينة، تهتم بتأسيس الصحف والمجلات في دول الغرب وتكون مهمتها نشر الإسلام، وتقوم أيضاً بالاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين وإطلاعهم على الإسلام، والتعاون مع الغربيين

من مختلف الأديان الذين اعتنقوا الإسلام، والاستعانة بهم في نشر الدعوة في أقوامهم.

أقول في ختام بحثي: إن الإسلام دين الحق بلا أساطير، وتعاليمه بسيطة ومعقولة، وحقيقة التوحيد إنما هي في العقيدة الإسلامية، وإن حقائق المبادئ الإسلامية الأخرى تنبع منطقياً من الإيمان بالتوحيد وبإحسان الله.

اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً، اللهم خذ بناصية كلٍ منا إليك، ولا تجعل اعتمادنا إلا عليك، ووفقنا لما تحبه وترضاه، واحفظنا وأهلنا وذريتنا بما تحفظ به عبادك الصالحين. آمين.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدّس.

٣- ابراهيم محمد ابراهيم، الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦ه، ١٩٨٥م.

٤- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ت: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز بن ابراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، دار العصمة، ط٢، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م.

٥- أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، د/ت، ص٤٦.

٦- أحمد عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، دار الآفاق العربية، (القاهرة)، ط١، ٢٠٠٦م.

٧- أحمد علي عجيبة، الخلاص المسيحي، المكتبة العصرية (القاهرة)، ط١، ٢٠٠٦م.

٨- أحمد عمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، دار الوعي (بيروت)، د/ط، ١٩٩٦.

٩- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: محمد أنو شكري ومحمد عبد المنعم أبو بك ر، دار البابي الحلبي، ط١، ١٩٨٣م.

١٠- ألبير ثويتزر، فكر الهند، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات، ط١، ١٩٩٤م.

١١- أندريه نايتون وإدغارد ويند وكارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د/ط.ت.

١٢- ثائر حلاق، العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة (القاهرة)، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.

١٣- جيمس هنري بريستيد، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ط.ت.

١٤- حسن الباش، العقيدة النصرانية بين الإنجيل والقرآن، دار قتيبة (دمشق)، ط١، ١٤٢١ه، ٢٠٠١م.

١٥- خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق (عمان)، ط١، ١٩٩٩م.

١٦- داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، مكتبة المعارف، د/ط.ت.

١٧- رودلف آنتس، الأساطير في مصر القديمة، ترجمة: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة، ط١، ١٩٧٤م.

١٨- سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، أضواء السلف (الرياض)، ط١، ١٤١٨ه، ١٩٩٧م.

١٩- سعيد القحطاني، كيفية دعوة الوثنيين إلى اللهّ تعالى في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان دار سفير، (الرياض)، د/ط.ت.

٢٠- شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، د/ط.ت، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت)، د/ط.ت.

٢١- شاكوانتالا راوا شاستري، الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس)، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر (اللاذقية)، ط ١، ١٩٩٣م.

٢٢- عبد الجبار الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، (القاهرة)، د/ ط.ت.

٢٣- عبد الله أفندي، تاريخ الفلاسفة، مطبعة الجوائب، د/ ط، ١٣٠٢ه.

٢٤- عبد الودود شبلي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح، الدار السعودية للنشر والتوزيع (جدة)، ط٢، ١٤١٨ه، ١٩٩٧م.

٢٥- عزية علي طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دار الموصل، د/ ط.ت.

٢٦- علي خان جومال، الكتاب المقدس كلمة الله أم كلمة البشر، ترجمة: رمضان الصفناوي، مكتبة النافذة، د/ ط، ١٩٦٨م.

٢٧- فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، دار الثقافة المسيحية، (القاهرة)، د/ ط.ت.

٢٨- كامل سعفان، معتقدات آسيوية، دار الندى (القاهرة)، ط ١، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م.

٢٩- كلير لالويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات في مطبعة اليونيسكو (القاهرة – باريس)، ط ١، ١٩٩٦م.

٣٠- كوستي بندلي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، منشورات النور (بيروت)، ط ١، ١٩٩١م.

٣١- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (الرياض)، ط٤، ١٤٠٤ه.

٣٢- محمد بن أحمد القرطبي، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ت: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي،

(القاهرة)، د/ط.ت.

٣٣- محمد بن طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ت: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة (القاهرة)، د/ط، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م.

٣٤- محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د/ط.ت.

٣٥- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، (بيروت)، ط٣، ١٤١٤ه.

٣٦- محمد سليم الفاضلي، النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ت: نبيل حامد خضر، دار الكتاب، د/ط، ١٩٩٤م.

٣٧- محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد (الرياض)، ط٢، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.

٣٨- محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، دار القلم (دمشق)، ط١، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

٣٩- محمد عزت الطهطاوي، النصرانية في الميزان، دار القلم (دمشق)، د/ط.ت.

٤٠- محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام، مكتبة النور، ط٢، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦م.

٤١- محمد علي البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، دار القلم (دمشق)، د/ط.ت.

٤٢- محمد علي برو، الكتاب المقدس في الميزان، الدار الإسلامية (بيروت)، د/ط، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

٤٣- محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث، مكتبة النافذة، ط٢، ٢٠٠٤م.

٤٤- محمد وصفي، المسيح ‹ بين الحقائق والأوهام، دار الفضيلة، د/ط، ١٩٩٢م.

٤٥- مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، دار الدعوة، ط١، ١٤١١ه، ١٩٩٠م.

٤٦- ناصر بن عبد الله القفاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصميعي (الرياض)، ط١، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م.

٤٧- نبيل نيقولا بوخاروف، المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم ديانة بولس، د/مط، ط٢، ٢٠٠٧م.

٤٨- هالة شحاتة عطية، النصرانية خواطر وأفكار، مركز التنوير الإسلامي (القاهرة)، د/ط، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م.

٤٩- هبة عبد المنصف ناصف، الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة أُعدّت لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب جامعة (طنطا)، د/ط، ١٤٢١ه، ٢٠٠٣.

٥٠- والاس بدج، آلهة المصريين، ترجمة: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي (القاهرة)، د/ط، ١٤١٨ه، ١٩٩٨.

٥١- ول ديورانت، قصة الحضارة، تعريب: محمد بدران، لجنة التأليف والنشر (القاهرة)، ط٢، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م.

٥٢- ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدري، هيئة الآثار، ط١، ١٩٨٧م.